العنوان عوامل ظهور الفكر الاصلاحي في وادي سوف

The factors of the appearance of the thought reform

د بن عثمان فهيمة
مخبر اسهامات علماء الجزائر، جامعة الوادي (الجزائر)
Fahimabenathmane28@gmail.com

****

ملخص:

تعالج هذه المداخلة إشكالية ظهور المقاومة الفكرية، أو الفكر الإصلاحي، أو الحركات الإصلاحية في واد سوف، رغم للاستعمار الفرنسي الذي كرس سياسة استيطانية تعمل على السيطرة على الإنسان و الوطن و العمل على محو هوية الإنسان الجزائري، و بالمقابل عمل الفكر الإصلاحي على استنفاذ كل الوسائل و الآليات ليحافظ على هوية الإنسان الجزائري، ذلك أن الجزائر تعرضت لاستعمار استيطاني عمل على طمس كل معالم الشخصية الجزائرية ، من دين إسلامي، و لغة عربية ، و انتماء أو تاريخ عربي اسلامي، لقد جاء الاستعمار بمشروع دقيق يهدف إلى القضاء على كل هذه المعالم و يسعى بالمقابل إلى نشر دينه وهو المسيحية و لغته الفرنسية و تاريخه، و بالنظر لطول المدة التي مكثها الاستعمار في الجزائر قرن و ثلث كانت ستكون كفيلة بطمس و مسخ كل هذه المعالم لولا حركات الإصلاح التي قام بها المخلصون من أبناء هذا الوطن لانمحت كل معلم الشخصية الجزائرية .

تهدف هذه الدراسة إلى بيان عوامل ظهور الفكر الإصلاحي في واد سوف ، و قد تبين من خلال البحث أنها تتمثل في : الهجرة و دورها الكبير في ظهور المقاومة الفكرية أو الحركة الإصلاحية بوادي سوف ، سواء كانت هذه الهجرة خارجية تتمثل في الهجرة إلى تونس و المشرق العربي، أو كانت داخلية خاصة الهجرة إلى قسنطينة، و كذلك من العوامل الهامة النخبة و دورها في الحركة الاصلاحية.

الكلمات المفتاحية: (_ المقاومة_ الفكر _ الاصلاح_؛ الهوية_ ؛ الهجرة .

(نوع الخط: Simplified Arabic مقاس 14 ، البعد بين السطور 1).

الكلمات المفتاحية:

Abstract :

This intervention address the appearance of the intellectual resistance,

and thought reform in ouadsouf despite the french colonialism working hard and devoting more than a century creating policies that aim to control and brainwash Algerians, and their main goalwas to erase every aspect of identity that the Algerians have , conversely the reformists worked hard to preserve and keep the Algerian identity alive in the people minds And fighting against the French colonialism attempts to wipe out the Arabic language and Islam and the whole Algerians history and in return working to spread Christianity and the French language.

Given that that French colonialism stayed for over a century, that would have been more than enough to brainwash and erase the Algerian identity, had it not been for the brave, loyal ,hard working reformists and the great effort they put on to keep the Algerian identity and history alive.

This study aim to show the factors that led to the appearance of the thought reform in ouadsouf ,and it it show from the research that the main ones are

- Immigration and it's big rule in the appearance of the thought reform in oued souf,whether its internal migration to Constantine or external migration to Tunisia and the Levant region
- Also the elites and their big roles in the thought reform movement.

Key words:

Resistance, thought, identity , migration, reform.

1.مقدمة

كان ظهور الفكر الإصلاحي حتمية نتيجة الأوضاع المزرية التي مرّ بها العالم الإسلامي، من تخلف و انحرافات في العقيدة و انتشار للطرقية و مظاهر الشرك ، و بسبب الاستعمار الذي عمل على نشر الجهل و الفقر و التخلف، و حارب بمخططات دقيقة كل معالم هوية الإنسان المسلم، و لم تكن الجزائر بأفضل حال من باقي بلدان العالم الإسلامي، حيث تعرضت لاستعمار استيطاني ،عمل على طمس كل معالم هوية الإنسان الجزائري، من دين إسلامي و لغة و تاريخ .و في ظروف أحكم فيها الاستعمار قبضته على الجزائر ظهر الفكر الإصلاحي في كل ربوع الوطن، و منها منطقة وادي سوف بالجنوب الشرقي، الإشكال الذي تطرحه هذه المداخلة كيف ظهرت المقاومة الفكرية و انتشرت في واد سوف رغم التضييق الاستعماري الذي كرّس سياسة استيطانية تعمل على السيطرة على الإنسان و الوطن و العمل على محو هوية الإنسان الجزائري؟

تسعى هذه المداخلة لبحث العوامل التي ساهمت في انتشار الحركة الاصلاحية بوادي سوف ، فهي منطقة لها خصوصيتها الجغرافية و المناخية و الثقافية و الاجتماعية.و لتحقيق هذا الهدف تم الاعتماد على المنهجين التاريخي و الوصفي ، بحكم أنها تبحث في ماضي الجزائر ، باحثة في موضوع تاريخي .

2.مفهوم الإصلاح و جذوره

2،1.مفهوم الإصلاح

إن مفهوم الإصلاح ليس بغريب في الإسلام ، فالقرآن الكريم في المقام الأول ساهم في إشاعة فكرة الإصلاح في صلب الأمة الإسلامية ، و من بين الإحالات القرآنية في هذا المجال نشير إلى الآية التي كثيرا ما يذكرها المصلحون الإسلاميون كشعار لهم:"إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ"سورة هود 88، نسجل كذلك أن القرآن الكريم يمتدح المصلحين الدينيين، و هكذا يمكن النظر إلى الإصلاح على أنه من الدروس الإسلامية الأساسية ، بما أنه يستمد جذوره من القرآن الكريم.[1]

إن كتب الأحاديث تنص على وجود حديث يعبر عن فكرة الإصلاح و أن العناية الإلهية ستبعث من قرن إلى آخر الرجل الذي سيؤدي هذا العمل الخاص بإحياء الدين و الأخلاق، يتبدى هذا الحدث على

---

[1]-: مراد، علي، الحركة الإصلاحية في الجزائر ، دار الحكمة،الجزائر. ط2، 1999.ص 33

النحو التالي: "يرسل الله إلى هذه الأمة كل مئة سنة من يجدد لها دينها".[2]إن الإعلان الرسالي عن الإحياء الضروري الدوري للدين قد فرض نفسه في المحصلة كحقيقة مقدسة تعبر هن عادة ربانية ، أي قانون الهي يحكم بشكل أزلي سير الأعمال البشرية.

مفهوم الإصلاح أو التجديد معقد نسبيا في الواقع، يغطي مجموعة من الدلالات التي تبدو مترابطة أيما ترابط من بينها:التذكير بالرسالة الحقيقة للتنزيل ، و سنة الرسول صلى الله عليه و سلم ، و إحياء الممارسة الدينية ، و محاولة إعادة صياغة المذهب السني ، تتجلى أكثر في تفسير جديد للقرآن الكريم و الحديث النبوي، و صقل الشرائع صقلا جديدا و هذا بالنظر إلى المعتقد الشعبي الذي ينطوي على تشويهات مردها إلى الجهل أو انحراف الشعور الديني،كما أن الاصطلاحات الدينية التي يمكن أن يصحبها نشاط مباشر أو على المدى البعيد ، على السلوك الأخلاقي و الاجتماعي للمؤمنين، سواء عن طريق الإقناع و فضيلة الأسوة ، و إما عن طريق الإكراه كما حصل مع الإصلاح الموحدي.[3]

2،2. ظروف ظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر

إن فحص مختلف المحاولات الإصلاحية التي تتخلل التاريخ يدعو إلى إسناد فترات بعينها لظهور النزعات الإصلاحية كان الدين فيها يتسم بالتدهور جراء الانحطاط الثقافي و الأزمة السياسية و الاجتماعية الخطيرة أو التحول العميق في ظروف الحياة، و لما كانت الظاهرة الدينية لا يمكن فصلها عن الظواهر الاجتماعية و الثقافية الأخرى .

و سواء كان المصلح منقادا في مسعاه أم مقدما عليه بمبادرة منه ، مستبقا بشكل ما الموهبة الجماعية ، و موفقا في استمالة الناس إلى إصلاحه، فان الظاهرة في كلتا الحالين يمكن أن تنم عن الوعي الديني، هذا الوعي نفسه يمكن أن يكون مشفوعا بوعي المخاطر الداخلية أو الخارجية و بتهديدات من شأنها تمزيق و تفكيك الأمة.. غير أن المصلحين يمكنهم البروز في لحظة ما يكون فيها الاستعداد الجماعي من القوة بحيث يبدون و كأن السماء أرسلتهم .[4].

---

[2]-: رواه أبو داوود

[3]-: مراد، علي، مرجع سابق.ص 34

[4]-: مراد، علي، مرجع سابق.ص *35*

تعدو جذور الحركة الإصلاحية الحديثة في العالم الإسلامي إلى محمد بن عبد الوهاب، الذي ظهر في النصف الثاني من القرن 18م،و الذي عمل على محاربة الشعوذة و الخرافات و بعض الممارسات الطرفية التي ألصقت بالعقيدة الإسلامية، لكن لم توسع الحركة إصلاحها الديني إلى إصلاح اجتماعي و ثقافي و اقتصادي، و لم يكتمل هذا الجانب الا بعد ظهور جمال الدين الأفغاني و محمد عبدو بمصر في النصف الثاني من القرن 19م.[5]

ثم جاء بعد هؤلاء الرواد عدة مصلحين أثروا الحركة الإصلاحية في المشرق و المغرب الإسلاميين فيما بعد كرشيد رضا صاحب المنار ، و شكيب أرسلان صاحب فكرة القومية الإسلامية ،و عبد الرحمن الكواكبي المناهض للاستبداد..و غيرهم من المصلحين.[6]

احتكت الجزائر بالحركات الإصلاحية المشرقية في بدايات القرن العشرين عبر عدة قنوات منها زيارة محمد عبدو إلى الجزائر عام 1903م، كما كان للصحف المشرقية تأثيرا على بعض رواد الصحافة العربية في الجزائر الذين دعوا إلى الفكر الإصلاحي .[7]

بدأت الحركة الإصلاحية الجزائرية في البروز في العقد الثالث من القرن 20م، و يعود ذلك إلى عودة المهاجرين الذين سبق لهم أن انتقلوا إلى المشرق الإسلامي، إما هربا من التجنيد الإجباري أو طلبا للعلم،و من أبرز هؤلاء نجد عبد الحميد بن باديس و البشير الإبراهيمي و الطيب العقبي.[8]

لقد ظهرت الحركة الإصلاحية التي ألهمها محمد عبده للجزائريين في الوقت ذاته كفضل رباني بالنسبة للإسلام المعاصر و كتتويج لتقليد المجددين الذين احيوا الأمة الإسلامية عبر العصور.و كان لرسالة محمد عبده تأثيرات في الجزائر منذ نهاية القرن التاسع عشر، غير ان الجزائريين لم يكتشفوا البعد الحقيقي للنزعة الإصلاحية الجديدة إلا في السنوات الأولى من 1900، لاسيما بعد زيارة محمد عبده للجزائر في سبتمبر 1903م.

---

[5]-: لونيسي، رابح، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة، كوكب للعلوم،الجزائر. ط2، 2009.ص 89

[6]- أحمد عبد الرحيم ، مصطفى، حركة التجديد الإسلامي في العالم العربي الحديث، مكتبة الفلاح،الكويت. ط2، 1977.ص122

[7]- مرتاض ،عبد المالك، الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير و التأثر، دار الحداثة بالتعاون مع الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر. ط1، 1982.ص79

[8]- رابح لونيسي، مرجع سابق ، ص90

كان لهذا السفر بعد معنوي هائل، خاصة بالنسبة لعلماء الدين و المثقفين الذين كانوا يشكلون حزب محمد عبدو في الجزائر، ففي هذه الجزائر المحرومة منذ أمد بعيد من كل تأثير مفيد للشرق، جاءت زيارة مفتي مصر بنفس منعش ، و فضلا عن تعليم الأستاذ الحي ووجوده الباعث على الحماس بالنسبة لمضيفيه ،و نسجل دلالة الحدث التاريخية ، أي استعادة الصلة العاطفية و الروحية بين موقع هذا المغرب و الكيان الواسع للأمة الإسلامية.

لقد أفضت القطيعة الماثلة بين الجزائر و بقية العالم العربي إلى انقطاع شبه كلي للمبادرات و المجادلات الشافية و نضوب منابع الإلهام المشتركة و إلى نوع من نسيان الشرق، قد تجلى شكل جهل، كان الإسلام الجزائري المتقوقع على قواه الخاصة، يتوفر على موارد متواضعة للغاية، سواء من حيث الرجال أو من حيث التجهيز الفكري، لم تسمح له إمكانياته الثقافية بمواصلة التطور الضروري و الإقدام على التجديد المساوق لتقدم الفكر و الحضارة في العالم.

كان الإسلام في الجزائر بحاجة إلى دفع تاريخي للانتقال من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين، للخروج من السبات السديمي و التكيف مع العالم الجديد عن طريق الاهتمام النشط..و هكذا أخذت الأفكار الإصلاحية للشيخ محمد عبدو تنبت في الأذهان في الجزائر لا سيما في المراكز الكبرى ذات التقاليد الثقافية (الجزائر –قسنطينة– تلمسان) [9]

3.عوامل ظهور الفكر الإصلاحي في وادي سوف

3،1.الهجرة و دورها في ظهور الفكر الإصلاحي

إن حياة الجزائري منذ الاحتلال أصبحت حياة لا تطاق نتيجة الأوضاع التي آلت إليها البلاد مما حمل الكثير من الجزائريين على التفكير في الهجرة حيث كانت شكلا من أشكال المقاومة التي اتخذها الجزائريون و هي مقاومة سلبية.[10] ، و مع هذا كان نشاط الهجرة واسعا جدا ، رغم اختلاف وجهات

---

[9]– رابح لونيسي، مرجع سابق ، ص92

- [10]– سعد الله، أبو القاسم، 25 صفر1424هـ، م ل 27أفريل 2003، محاضرة بعنوان خصوصيات الحركة الوطنية الجزائرية ، مخبر العلوم التاريخية و الفلسفية، جامعة منتوري، الجزائر

النظر الفرنسية بالنسبة للهجرة الجزائرية الجزائرية ، فمنهم من حبذها و شجع حكومته على تسهيل الإجراءات الضرورية لها،ظنا منهم أن الأهالي لا محالة عائدون إلى الجزائر عاجلا أم آجلا، و سينشرون بين الناس أخبار متاعبهم و ما تعرضوا له من تعاسة و مشقة، و أتعاب في البلدان التي هاجروا إليها ، و من الفرنسيين الرسميين من رأى في حركة هجرة الأهالي نحو البلاد العربية فرصة سانحة للتخلص منهم بالأخص الفقراء و بعض العناصر المشاغبة التي في اعتقادهم تضر أكثر مما تنفع البلاد.[11]

أما رأي الكولون تجاه هجرة الأهالي انقسم إلى اتجاهين: أولهما كان مشجعا للهجرة ، و ذلك قصد الاستيلاء على أراضي الجزائريين، أما أصحاب الرأي الثاني كان معارضا ورافضا لهجرة الأهالي ، لأنه رأى في هجرتهم فقدان اليد العاملة الرخيصة و اعتبرها خسارة لا تعوض.[12]، و هذا الموقف أيده السيد "لوسياني" في تقريره الذي حمل تاريخ 4سبتمبر 1899، المتضمن أسباب و دواعي الهجرة 1898-1899[13]، و هذا التقرير واحد من بين التقارير التي حاولت التطرق إلى الهجرة مع حصرها في مناطق محددة ، كي لا تؤلب الرأي العام الفرنسي و إلا تحدث هلعا في أوساط المسؤلين الفرنسيين، لكن رغم تلك السياسات التي طالت الأهالي ظلت المحاولات قائمة قصد التخلص من كل التبعات ، فالسيد لوسياني يحاول رصد دوافع و أسباب يحمل من خلالها الأهالي تبعية مغبة الهجرة[14] ، دون أن يقف على الدواعي و الأسباب الحقيقية ،فهو لا يتخلى عن ذاتيته الفرنسية.

لكن ما نقف عنده من دوافع و أسباب هجرات الأهالي هي مغايرة تماما لما جاء في تقريره من هذه الدوافع و الأسباب نجد التصريحات التي أدلى بها الكثير من المؤرخين و أصحاب القرار في الحكومات الفرنسية المتعاقبة ، و من بينهم " دي دوفيل" الذي يعد أفضل مترجم لحياة بيجوو كان ذلك عام 1882م صرح: "أن الفضل الأكثر الذي ينبغي أن نعترف به لبيجو هو انه أدرك بأننا لا نواجه جيشا حقا، بل

---

[11]- **هلال** ،عمار، الهجرة الجزائرية نحو المشرق في بعض التقارير الرسمية الفرنسية، مجلة الثقافة ، العدد28،يوليو أغسطس 1985، ص165-166

[12]- المرجع نفسه، ص166

[13]- الأشرف ،مصطفى، الجزائر الأمة و المجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر. دط، 1983.ص299

[14]- زرزور ،عبد الحميد، الهجرة و دورها الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1919_ 1939، المؤسسة الوطنية ، الجزائر. ط2، 1985.ص35

مواجه السكان أنفسهم ، و انه لا بد لكي نستقر في مثل هذه البلدان أن لا يقل الجيش في حالة السلم عما هو عليه في حالة الحرب من حيث العدد و العدة"[15]و على اثر هذا التصريح يتضح أن السياسة الاستعمارية كانت قائمة على محاور خمس كان أهمها التهجير ، و وضع ظل يعيشه الأهالي دون هوادة، الى ان تغيرت نظرة المستعمر للهجرة في أواخر القرن19م، و اصبح ينظر للاهالي على اساس انهم يمثلون يد عاملة رخيصة لا ينبغي التفريط فيها،بالإضافة إلى أسباب كثيرة دفعت بهم إلى الهجرة نحو المشرق،أو حتى نحو فرنسا نفسها بلاد المستعمر التي أصبح ينظر لها كبلد يمكن الهجرة إليه، و من هذه الأسباب نجد:

_ الدوافع الاقتصادية: حيث يتمثل هذا الدافع في واقع الممارسة الاضطهادية التي واجهها الأهالي انطلاقا من سلب الأراضي و منحها للمعمرين نتيجة الضرائب الهائلة تارة ، أو سياسة الاقتراض و الاستلاف المستعملة بطريقة ربوية تارة أخرى، مما يجعل الأهالي يفقدون ممتلكانهم، خاصة الأرض باعتبارها الركيزة الأساسية التي يعتمد عليها الفرد في ارتزاقه، بالإضافة إلى البطالة التي أصبحت تحدق بالأهالي هذا كله كافيا لرفع مستوى الرغبة في الهجرة قصد كسب القوت و الحصول على شغل يؤمن موارد أساسية يعول بها المهاجر أفراد أسرته، و هو الطابع الذي يغلب على المهاجرين من خلال الهجرة الموسمية.

الدوافع التعليمية: إن طبيعة السياسة التعليمية التي انتهجتها فرنسا رغم صدور قانون "جون فيري"بتاريخ 13فبراير 1883ملقي معارضة شديدة من طرف المعمرين، الذين اعتبروا أن هذا المرسوم سيرفع من مستوى الأهالي، و يجعلهم يطالبون بحقوقهم، و أنهم سيرفعون أصواتهم عالية من خلال شعار " الجزائر للعرب"إذا ما انتشر فيهم التعليم[16]، فكان هذا من بين الأسباب الملحة على الهجرة.و قد كانت اقوي هذه الهجرات هي هجرة الجزائريين إلى بلاد المشرق انطلاقا من تونس باعتبارها حاضرة علمية زاخرة بجامع الزيتونة المعمور.

---

[15]– المرجع نفسه، ص35

[16]– تركي ،رابح، الشيخ ابن باديس و فلسفته و جهوده في التربية و التعليم1900_1940، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر. دط، دت.ص29_30

_الدوافع الاجتماعية: تكمن هذه الاسباب في الشعور بالمهانة التي اصبح يعيشها الاهالي جراء الفقر و الفاقة ، و التي اضحت هاجسا يؤرق كل جزائري ، فكانت فرنسا أسهل المناطق المهاجر اليها، نتيجة وجود قوانين فرنسية مشجعة على ذلك[17]،

_ الدوافع النفسية: ان تبادل الرسائل و عودة المهاجرين خاصة في فرنسا كان يصحبه الانبهار بثقافة الآخر، هذا مازاد في رغبة الاهالي الذين اصبحوا يتناقلون اخبار ذويهم العائدين من فرنسا، فشجعهم ذلك على الهجرة خاصة فرنسا[18]

_ الدوافع السياسية: و هي التي تجعل الهجرات اضطرارية قصرية هروبا من البطش و التنكيل ، بالاضافة إلى الهروب من القوانين الجائرة ، و محاولة الأهالي التملص منها[19].

و قد شملت الهجرة ربوع الوطن بكامله نتيجة السياسة المتعسفة، فكانت وادي سوف من بين المناطق التي عرفت عبر فترات مختلفة موجات هجرة متعددة انطلاقا من الحدود التونسية و الليبية، و لم تختلف أسبابها عن الأسباب العامة التي عرفتها الهجرة في إرجاء عديدة،رغم محاولات بعض أبناء المستعمر التقليل م حدة السياسة الاستعمارية، لكن مع ذلك تظل السياسة الاستبدادية هي الأساس في تحريض الأهالي على اختيار الهجرة طواعية أو اضطرارا.

اما الهجرة بوادي سوف ، فقد تعددت أسبابها و أهم هذه الدوافع:

_ الواقع الطبيعي لمنطقة وادي سوف:فهي محاذية للحدود التونسية من خلال منطقة الجريد و الحدود الليبية عن طريق غدامس، بالاضافة إلى ضعف المراقبة الحدودية نتيجة الطابع الصحراوي الصعب.

_ الدوافع الدينية: التي تشجع أهالي واد سوف على الهجرة إلى البلدان العربية انطلاقا من تونس بخلاف اهل الشمال بالجزائر الذين يفضلون الهجرة إلى فرنسا خاصة بعد الحرب العالمية الثانية.

_ الرغبة في تحصيل العلم باعتبار أكثر المهاجرين من طلبة العلم و مثقفي المنطقة.

---

[17]– زوزو ،عبد الحميد، مرجع سابق.ص35–46

[18]– زوزو ،عبد الحميد مرجع سابق .ص35–46

[19]– زوزو ،عبد الحميد، مرجع سابق.ص35–46

_ الوضع الاجتماعي و الاقتصادي الذي أدى بأغلبية السكان خاصة المالكين للحيوانات دون النخيل، و ضعف هذه الحيوانات على توفير بعض متطلبات الحياة، و بعض الموارد الأخرى.[20]

ع_ الوضع السياسي الذي أصبح يسود المنطقة ، مما شجع الكثير على الهروب دون مواجهة الحاكم كي لا يستغل او يضطهد، خاصة منذ صدور المرسوم الملح بقانون التجنيد الإجباري.

و ما يلاحظ على الهجرة بوادي سوف أنها اتخذت ثلاثة اتجاهات اساسية لدورها في دعم الحركة الإصلاحية و هي:

_ الهجرة إلى المشرق العربي

_ الهجرة إلى تونس

الهجرة إلى المناطق الداخلية في الجزائر

أ _الهجرة إلى المشرق العربي[21]: ارتبطت الهجرة إلى المشرق العربي بعامل الدين الذي كان هاجسا قويا لدفع اهالي سوف لاختيار هذه المناطق ملاذا للهروب من السياسة الاستعمارية ،و كانت الهجرة إلى المشرق قديمة تعود إلى ما قبل الاحتلال،و هذا انطلاقا من البقاع المقدسة في اطار رحلة الحج الموسمية التي كان يصحبها عامل اقتناء الكتب،و المجلات لدى بعض الحجيج باعتبار الحج عامل اساسي في نشر الثقافة و الوعي الاصلاحي، بين ارجاء العالم الاسلامي ،و عليه كان الحجاز اهم منطقة في بلاد المشرق لاستقطاب اهالي وادي سوف، حيث ازدادت هذه الهجرة خاصة بين الفترة الممتدة بين 1930_1939[22]، لانها اصبحت تعد اتجاها جديدا من اتجاهات الهجرة، و قد استمرت الهجرة الى المشرق العربي في فترات متعددة دون انقطاع كان اهمها هجرات الطلبة الذين كانوا في شغف كبير اما للكسب او التعليم، حيث نجد من بين هؤلاء" محمد العربي ستو" ، المولود بوادي سوف خلال 1870، هاجر الى مصر حوال 1908 بعد حفظه للقران الكريم، فاشتغل مؤدبا للصبيان بالأزهر،ثم ما لبث ان زاول دراسته بالازهر سنة 1916،و قد ثبت اسمه في قائمة الطلبة الجزائيين بالازهر من نفس السنة، تحت اسم محمد العربي السوفي، و قد احتل الرتبة الرابعة من المصنفين في هذه القائمة[23]، و هكذا ظل

---

[20]– بن موسى، موسى، 2005_2006، الحركة الاصلاحية بوادي سوف 1900_ 1939،كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة منتوري، الجزائر ، ص110

[21]– المرجع نفسه، ص110

[23]– موسى بن موسى ، مرجع سابق، ص110

المشرق العربي يمثل المقصد الهام للهجرة نتيجة الاهمية البالغة التي يحض بها العلم و التعليم بالاضافة الى فريضة الحج التي هي الركن الخامس من اركان الإسلام

غير ان اغلبية المهاجرين الى بلاد المشرق يحبذون البقاء في هذه البلدان لما يلقاه هؤلاء من راحة و استمتاع ، خاصة المهاجرين الى الحجاز(مكة و المدينة)،فهناك تواجد كثيف لاهالي سوف، حيث يتمركز اهل قمار بمكة المكرمة،و باقي السوافى في المدينة المنورة.

و عليه فان الهجرة الى بلاد المشرق كانت في كثير من الاحيان طموحا يامل الجزائري ان يحققه نتيجة التعسف و الاضطهاد الممارس عليه من جهة ، و كون هذه البلدان بلدانا اسلامية يستطيع المهاجر الجزائري اليهااشباع رغباته التي يفتقدها في بلاده من جهة اخرى، و هذه الهجرة بدورها اضحت عاملا للاتصال المستمر، و التعريف بالوضع المعاش هناك خاصة على المستوى الاصلاحي، فكان ذلك من اهم العوامل المشجعة على زيادة البحث و التقصي عن مكامن الخوض في المسائل العديدة و التي كان من اهمها العقيدة الصحيحة،و حقيقة الاعتقاد السائد بالمنطقة، فالبريد الوافد على المنطقة بأولئك المهاجرين الذين فضلوا البقاء في تلك المناطق ، لما كانت تتمتع به من رخاء افضل بكثير من موطنهم الاصلي.

كما يلاحظ على كثير من هؤلاء المهاجرين مساهمتهم في نشر العلم و التعليم، و مواصلة الإصلاح انطلاقا من قدراتهم الفائقة في التحصيل،حيث نجد اكثر من شخصية استطاعت ان تبرهن عن دورها الفاعل مثل الشيخ عمار بن الازعر الذي نفته السلطات الاستعمارية فاستقر بالمدينة المنورة سنة 1935م، حيث يقول عن نفسه:" دخلت مدرسا في مدرسة العلوم الشرعية ثم حصلت على وظيفة التدريس في المسجد النبوي، ثم انتقلت إلى مدرسة العلوم الشرعية و الى مدرسة الحديث" .كما نجده يتحدث عن سيرته حياته، حيث يقول:" سنة 1353هـ قد وحدت انأ و من هاجر معي من التلاميذ من جلالة الملك المعظم أمام المسلمين الملك عبد العزيز آل سعود طيب الله ثراه و اسكنه فراديس الجنان ، ووجدنا منه كل مساعدة و إكرام إلى أن وصلنا إلى المدينة المنورة سنة 1354هـ"و هو ما يبين ان هجرته لم تكن هجرة فردية بل كانت جماعية مع عدد من تلاميذه.

كما يوجد بعض المهاجرين الذين ساهموا في نشر الطرق الصوفية، منهم سيدي الحاج" محمد العيد البارئ" التونسي، القماري الاصل ثم هاجر إلى الشام و أصبح من مستوطني الشام، فمنحته السلطة التركية مرتبا شهريا مكافأة على تلاوة القرآن الكريم[24].

و هكذا نجد ان الهجرة إلى المشرق العربي قد ساهم من خلالها أهالي سوف خاصة النخبة المثقفة في رفع لواء الإصلاح عن طريق التعليم .كما شجع استقرارهم هناك على تشجيع العديد من أبناء المنطقة على الهجرة قصد التحصيل العلمي للمساهمة في رفع اسس الاصلاح.

الهجرة الى تونس:ان قرب تونس من وادي سوف كان عاملا هاما في تشجيع الهجرة، و قد عرفت الهجرة اليها افواجاعديدة، و هذا قصد الكسب عن طريق وظائف عديدة منها التجارة و العمل و التعليم، فقد كان اكثر المهاجرين لها هم الطلبة، كما كان هؤلاء يزاولون اعمالا اخرى لكسب القوت قصد مواصلة مسيرة التعليم و حصولهم على الشهادات العلمية، لكن ما ميز الهجرة الى تونس هو ان الطلبة المهاجرين اليها ليس هم الطلبة القاصدين جتمع الزيتونة، بل نجد من يقصد بعض الزوايا كالزاوية القادرية بتوزر لسيدي المولدي بوعرقية، حيث كانت تضم عددا كبيرا من الطلبة كما تؤّمن لهم السكن و الغذاء فهي في شكل معهد، و الهجرة الى تونس كانت قديمة قبل الاحتلال الفرنسي، حيث نجد كتاب طبقات المشايخ قد اتى على ذكر طائفة من هؤلاء المهاجرين الذين صاروا ، و ذلك في القرن السابع الهجري.لكن في فترة الاحتلال الفرنسي نجد ان اهالي المنطقة أصبحوا أكثر رغبة في قصد تونس للهجرة، و على هذا حاولت فرنسا تنظيم المهاجرين في تجمعات سكانية خاصة و استغلالهم في دفع الضرائب في جميع الإرجاء المتواجدين فيها بتونس من خلال تعيين شيخ للسوافى و هو سي "علي بن سلطان بن بلقاسم" من الفرقة الأولى من المهاجرين السوافى إلى منطقة الجريد بتوزر ، و هذا بموجب القرار المؤرخ في 1 جويلية 1891

و قد شهدت الهجرة الى تونس فترات متعددة كانت الهجرة فيها تعرف تفاوتا في العدد ، و هذا منذ اندلاع الحرب العالمية الاولى، حيث شهد هذا البلد هجرة قوية رغم بساطة الوسائل المستغلة، و هي السير على الاقدام و استعمال الحيوانات التي من اهمها الجمال، و قد كانت الهجرة في هذه الفترة هجرة الاشخاص دون عائلاتهم، لهذا كان طابعها موسمي، حيث كان هؤلاء المهاجرون يعودون الى اهاليهم في موسم الخريف او لزيارة الوالدين،لكون اغلب هؤلاء ارباب عائلات

---

[24]– موسى بن موسى، ص115

كما تعد هجرة الطلبة في غالبها موسمية، و عند انقضائها سرعان ما يعودون الى وادي سوف. اما الفترة الثانية فهي محصورة بين 1918_1930م التي تزايدت خلالها الى تونس بشكل مكثف، كما لوحظ هجرة العائلات بشكل جماعي، لان الهجرة خلال هذه الفترة اصبحت اكثر سهولة، نتيجة استعمال وسائل النقل الحديثة، و بقيت خلالها هجرة السوافى الى تونس نوعا من التوازن مع الشجرة الى الشمال الجزائري،بالاضافة الى ظهور هجرات اخرى نحو البلدان العربية كالعربية السعودية، كما ان المهاجرين لم يكونوا فرادى فقط بل كان الكثير منهم يهاجر مع عائلته

و هكذا استمرت العلاقة بين سوف و تونس لتكون مصدر اشعاع فعلي لبروز معالم الاصلاح الذي يشع عبر فترات متفاوتة و بشكل مغاير بين الحين و الاخر، و تبقى تونس اكثر تاثيرا نتيجة استيعابها العدد الاكثر من مهاجري وادي سوف، و عليه لا غرابة ان تتماثل الخصائص الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية بين اهالي المناطق المجاورة لوادي سوف بتونس خاصة الجريد التونسي.

_ الهجرة الداخلية[25]:

ان طبيعة الوضع الاقتصادي المتردي الذي عرفته سوف فرض على كثير من اهاليه تفضيل الهجرة تعبيرا عن رفضهم، و عدم رضاهم بالوضعية العامة السائدة بالاقليم، نن و قد قصد السوافى مناطق عديدة منها وادي ريغ و الزاب، وورقلة و المنامشة و جنوب عمالة قسنطينة، و قد شملت هذه الهجرة اصنافا من عديدة من المهاجرين، خاصة الشباب الذين يتمتعون بالقوة، التي تجعلهم اكثر اندفاعا، و كان اغلب هؤلاء المهاجرين من ارباب بيوت همهم البحث عن القوت.كما نجد ان الكثير من المغضوب عليهم من طرف السلطات الفرنسية فضلوا الهجرة الى بعض المناطق القريبة من وادي سوف، و من اهم هذه المناطق الزيبان، لكن علاقة هؤلاء بوادي سوف ظلت قائمة ، و من خلال الاياب الموسمي كانوا كلما عادوا اقاموا اتصالات بشيوخ المنطقة و اقرانهم قصد اطلاعهم على الاحوال السياسية و حركة جمعية العلماء المسلمين بالمناطق المتعددة، كما كانوا يصحبون معهم اعدادا من الجرائد و الصحف الصدرة عن الجمعية، للاطلاع عليها و متابعة الإحداث من خلالها، و على هذا النحو استطاعت هذه النخبة ان تساهم في رفع مستوى الحركة الإصلاحية، رغم الدور الذي قدمته في تلك المناطق من خلال تنشيط الساحة الإعلامية و تسريع خطاها ،كما فعل كل من الاستاذ حمزة بوكوشة الذي يكتب في الشهاب خلال الفترة الممتدة بين 1934_1939م و شارك في البصائر و سلسلتها الاولى 1935_1939م،

---

[25]– موسى بن موسى.114

كما سهر على إصدار جريدة المغرب العربي و اشرف على تحريرها، و كانت الجريدة ذات نزعة إصلاحية و وطنية

كما قامت فرنسا بنفي الشيخ" محمد الطاهر التليلي" الذي اختار احد مناطق جرجرة وراح ينشر افكار الحركة الإصلاحية هناك، مما اقلق فرنسا ففرضت عليه العودة الى قمار.

2،3.دور النخبة في ظهور الحركة الإصلاحية[26]

إن الوضع المتردي الذي تعيشه منطقة سوف و الذي شمل جميع المستويات ، و كان هدف الاستعمار طمس معالم الشخصية الجزائرية، مما جعل بعض الدارسين يقتنعون بفكرة الرفض التي جابه بها الشعب الجزائر المدارس الفرنسية في بداية الاحتلال ردا على هذه السياسة التي اتبعتها لتنفيذ وسائلها الرامية إلى طمس الشخصية الجزائرية من خلال محاربة الثقافة العربية الإسلامية، و محاربة اللغة العربية باعتبارها لغة أجنبية في الجزائر

لم تكن منطقة سوف في منأى عن هذا الوضع ، لكن رغم ذلك نجد شخصيات عديدة مثلت النخبة محاولة الانطلاق من مستويات التعليم و آلياته المختلفة في بناء صرح نخبوي ساهم في بناء صرح نخبوي بالمنطقة باعتبار أن الإصلاح جاء أساسا للنهوض بالوضع الثقافي للبلاد اعتمادا على التعليم.

فكانت هناك نخبة محافظة ركزت على التعليم العربي الإسلامي ، حيث كان لهؤلاء دور في تربية النشء دون التخلي عن وظائفهم الأساسية لكون بعضهم كانوا قضاة في المحاكم الشرعية ورجال الفتوى، و أئمة مساجد و مؤدبين للصبيان،الإضافة إلى دروسهم الموجهة لتعليم كبار السن للمبادئ الدينية، و أصول العلوم الشرعية و اللغوية، و هذا من خلال دروس الوعظ و الإرشاد التي تقام في المساجد و

---

[26]– موسى بن موسى ، مرجع سابق.ص117

الزوايا، كما كانت بيوتهم الخاصة مقصدا لطلبة العلم ، وعلى هذا الأساس كانت سوف يومئذ مقسمة إلى ثلاث حواضر علمية أساسية أهمها: حاضرة الوادي و قمار، و أشهر علمائها ، الشيخ محمد العربي بن محمد الصالح بن موسى، و الشيخ عبد الرحمن العمودي، و الشيخ علي بن صابر، و الشيخ احمد بن سالم، و الشيخ احمد حمانة، و إبراهيم بن السلمي،

كما برزت نخبة المعاهد التي تلقت تعليمها في الزيتونة و نفخ فيهم المشايخ روح السعي و البحث الدءوب على ما هو أفضل من التعليم الذي تلقوه على أيديهم.

4.خاتمة

إن نشأة الحركة الإصلاحية صاحبها تأثيرات عديدة كان أهمها بوادي سوف الهجرة و التعليم، و كلاهما ساهم أيما مساهمة في بناء صرح الإصلاح بالإقليم ، لما لعبه كل منهما في التأثير على الوضع الاجتماعي الذي كان يحياه سكان المنطقة بالإضافة إلى السياسة الاستعمارية المجحفة في حق الجزائريين.

و من هنا كانت عوامل نشأة الإصلاح عديدة من أهمها الهجرة خاصة إلى البلاد العربية ، و التعليم الذي ساهم بجميع أصنافه في بناء المثقف الواعي الذي أدرك منذ الوهلة الأولى الدور المنوط به،حتى يستطيع رفع مستويات التحدي انطلاقا من عامل المعرفة للاطلاع على وضع البلدان العربية و الاسلامية، و هذا تفاعلت هذه العوامل مع بعضها انطلاقا من مبدأ التأثير و التأثر، فما كان عليها الا المساهمة في بناء وضع اجتماعي بات مؤهلا إلى رفع لواء الاصلاح على مستوى العديد من المراحل التي شهدها هذا التغير.

5. قائمة المراجع

أحمد عبد الرحيم ، مصطفى، حركة التجديد الإسلامي في العالم العربي الحديث، مكتبة الفلاح،الكويت. ط2

الأشرف ،مصطفى، الجزائر الأمة و المجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر. دط، 1983.

بن موسى، موسى، 2005_2006، الحركة الاصلاحية بوادي سوف 1900_ 1939،كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة منتوري، الجزائر .

- تركي ،رابح، الشيخ ابن باديس و فلسفته و جهوده في التربية و التعليم1900_1940، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر. دط، دت.

مرتاض ،عبد المالك، الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير و التأثر، دار الحداثة بالتعاون مع الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر. ط1، ت1977

مراد، علي، الحركة الإصلاحية في الجزائر ، دار الحكمة،الجزائر. ط2، 1999

- لونيسي، رابح، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة، كوكب للعلوم،الجزائر. ط2، 2009

- زرزور ،عبد الحميد، الهجرة و دورها الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1919_ 1939، المؤسسة الوطنية ، الجزائر. ط2، 1985.
- سعد الله، أبو القاسم، 25 صفر1424هـ، م ل 27أفريل 2003، محاضرة بعنوان خصوصيات الحركة الوطنية الجزائرية ، مخبر العلوم التاريخية و الفلسفية، جامعة منتوري، الجزائر
- **هلال** ،عمار، الهجرة الجزائرية نحو المشرق في بعض التقارير الرسمية الفرنسية، مجلة الثقافة ، العدد28،يوليو أغسطس، 1989